

التحرير والتنوير

والسبق حقيقته : تجاوز الغير في السير إلى مكان معين . ومنه سباق الخيل . واستعمل هنا مجازا في ثبوت الأمن في الماضي يقال كان هذا في العصور السابقة أي التي مضت أزمانها لما بين السبق وبين التقدم في الملازمة أي الذين حصلت لهم الحسنى في الدنيا أي حصل لهم الإيمان والعمل الصالح من أي بتوفيقه وتقديره كما حصل الإهلاك لأضدادهم بما قدر لهم من الخذلان .

والحسنى : الحالة الحسنة في الدين قال تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) أو الموعدة الحسنى أي تقرر وعد الله إياهم بالمعاملة الحسنى . وتقدم في سورة يونس . وذكر الموصول في تعريفهم لأن الموصول للإيماء إلى أن سبب فوزهم هو سبق تقدير الهداية لهم . وذكر اسم الإشارة بعد ذلك لتمييزهم بتلك الحالة الحسنة وللتنبية على أنهم أحرى بما يذكر بعد اسم الإشارة من أجل ما تقدم على اسم الإشارة من الأوصاف وهو سبق الحسنى من الله .

واختير اسم إشارة البعيد للإيماء إلى رفعة منزلتهم والرفعة تشبه بالبعد . وجملة (لا يسمعون حسيها) بيان لمعنى مبعدون أي مبعدون عنها بعدا شديدا بحيث لا يلفحهم حرها ولا يروعهم منظرها ولا يسمعون صوتها والصوت يبلغ إلى السمع من أبعد ما يبلغ منه المرئي .

والحسيس : الصوت الذي يبلغ الحس أي الصوت الذي يسمع من بعيد أي لا يقربون من النار ولا تبلغ أسماعهم أصواتها فهم سالمون من الفرع من أصواتها فلا يقرع أسماعهم ما يؤلمها . وعقب ذلك بما هو أخص من السلامة وهو النعيم الملائم . وجيء فيه بما يدل على العموم وهو (فيما اشتته أنفسهم) وما يدل على الدوام وهو (خالدون) .

والشهوة : تشوق النفس إلى ما يلذ لها .

وجملة (لا يحزنهم الفرع) خبر ثان عن الموصول .

والفرع : نفرة النفس وانقباضها مما تتوقع أن يحصل لها من الألم وهو قريب من الجزع والمراد به هنا فرع الحشر حين لا يعرف أحد ما سيؤول إليه أمره فيكونون في أمن من ذلك بطمأنينة الملائكة إياهم .

وذلك مفاد قوله تعالى (وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون) فهؤلاء الذين سبقت لهم الحسنى هم المراد من الاستثناء في قوله تعالى (ويوم ينفخ في الصور ففرع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله) .

والتلقي : التعرض للشيء عند حله تعرض كرامة . والصيغة تشعر بتكلف لقائه وهو تكلف تهيؤ واستعداد .

وجملة (هذا يومكم الذي كنتم توعدون) مقول لقول محذوف أي يقولون لهم : هذا يومكم الذي كنتم توعدون تذكيرا لهم بما وعدوا في الدنيا من الثواب لئلا يحسبوا أن الموعود به يقع في يوم آخر . أي هذا يوم تعجيل وعدكم . والإشارة باسم إشارة القريب لتعيين اليوم وتمييزه بأنه اليوم الحاضر .

وإضافة (يوم) إلى ضمير المخاطبين لإفادة اختصاصه بهم وكون فائدتهم حاصلة فيه كقول جرير : .

يا أيها الراكب المزجي مطيته ... هذا زمانك إني قد خلا زمني أي هذا الزمن المختص بك أي لتتصرف فيه .

(يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب كما بدأنا أول نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين [104]) جملة مستأنفة قصد منها إعادة ذكر البعث والاستدلال على وقوعه وإمكانه إبطالا لإحالة المشركين ووقوعه بعله أن الأجساد التي يدعى بعثها قد انتابها الفناء العظيم (و قالوا إذا كنا ترابا إنا لفي خلق جديد) .

والمناسبة في هذا الانتقال هو ما جرى من ذكر الحشر والعقاب والثواب من قوله تعالى (لهم فيها زفير) وقوله تعالى (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى) الآية . وقد رتب نظم الجملة على التقديم والتأخير لأغراض بليغة . وأصل الجملة : نعيد الخلق كما بدأنا أول خلق يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب وعدا علينا . فحول النظم فقدم الطرف بادئ ذي بدء للتشويق إلى متعلقه ولما في الجملة التي أضيف إليها الطرف من الغرابة والطباق إذ جعل ابتداء خلق جديد وهو البعث مؤقتا بوقت نقص خلق قديم وهو طي السماء . وقدم (كما بدأنا أول خلق) وهو حال من الضمير المنصوب في (نعيده) للتعجيل بإيراد الدليل قبل الدعوى لتمكن في النفس فضل تمكن . وكل ذلك وجوه للاهتمام بتحقيق وقوع البعث فليس قوله (يوم نطوي السماء) متعلقا بما قبله من قوله تعالى (وتتلقاهم الملائكة)